جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

المرحلة الثالثة
المادة: نقد قديم عنوان المحاضرة: النقدفي صدر الاسلام
اسم التدريسية: راوية عبدالله محمد

المحاضرة الثالثة

إن صدر الإسلام يعني عصر الرسول والخلفاء الراشدين، أو الفترة الزمنية التي بدأت بظهور الإسلام وانتهت بقيام الدولة الاموية على يد معاوية بن أبي سفيان سنة 41 للهجرة.

أما عن موقف الرسول من الشعر فنحن نعلم أن الله قد نزه نبيه عن تعاطي الشعر، قال تعالى " وما علمناه الشعر وما ينبغي له "وهو على كونه أفصح العرب إجماعاً، لم يكن ينشد بيتاً تاماً على وزنه ، وإنما كان قصاراه أن ينشد الصدر أو العجز فحسب ، ولم يكن إذا تمثل ببيتاً كاملاً يقيم وزنه ، إنما يخرج به عن الشعر إلى النثر"[1].

فهو موقف ينعى على الشعر ويذمه ، ومن أقواله في ذلك : " لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً ".

وقوله لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر".

ثم يأتي القرآن مؤيداً هذا الموقف ومزرياً على الشعراء ، وذلك حيث يقول : "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً".[2]

ويرى ابن رشيق أن المقصود بهذا القول : شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا" ، يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم والذين ينتصرون له، ويجيبون المشركين ، كحسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وعبد الله ابن رواحه ، وقد قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم :" أشعر هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل " وقال لحسان بن ثابت :" اهجهم –يعني قريشاً – فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام ، اهجهم ومعك جبرائيل وروح القدس ، وألق أبا بكر بعلمك تلك الهنات " فلو أن الشعر حرام ومكروه ما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يثيبهم على الشعر ويأمرهم بعلمه ويسمعه منهم.[3]

ونرى أن الإسلام لم يقف من الشعر موقفاً سلبياً لا بل شجعهم وحثهم على القول ضمن إطار الفكر المنفق مع تعاليمه واتخاذهم سلاحاً من أسلحته ، ولقد رسم الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر ﻫجه الذي ينبغي أن يسير عليه وروى عنه قوله " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين" كان وهو أكثر العرب فصاحة يتذوق الكلام الجيد ويخوض في حديث مع الوافدين عليه الذين أسلموا ولذا لم يكن من الغريب أن يتحدث الشعراء في مجلسه وان يكثر اجتماعهم به . وان يعجب بالشعر الجيد كقول النابغة الجعدي :

ولا خير في حِلْمٍ إذا لم يكن له ***بوادرُ تحمي صفوه أن يُكدرا.

ولا خير في جهل إذا لم يكن له *** حليمٌ إذا ما أورد الأمرَ أصْدَرا.

وقال له الرسول الكريم :أجدت لا يفضض الله فاك".[1]

وأنشده كعب بن زهير قصيدته ، "بانت سعاد" فأعجب به الرسول، وأبلغ من أعجاب ﻫا أن صفح عن كعب أن صفح عن كعب ، وخلع عليه بردته التي اشتراها منه معاوية ثم توارﻫا الخلفاء من بعده في الجمع والأعياد تبركاً ﻫا ، ولما بلغ كعب في قصيدته إلى قوله :

أن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

في فتيبة من قريش قال قائلها ببطن مكة لما أسلموا زولوا

أشار الرسول إلى الخلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير "[2].

وفي عهده صلى الله عليه وسلم إلى كانت المساجلات والمحاكمات في الشعر أمامه من ذلك ما روى أن وفداً من قرب بني تميم المعادين له قدموا عليه ومعهم من شعرائهم الزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس، ومن خطبائهم عطارد بن حاجب ، ثم راحوا ينادونه من وراء الحجرات : يا محمد أخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك ، فأن مدحنا زين وذمنا شين. فرماهم الرسول بخطيبه ثابت بن قيس وشاعره حسان بن ثابت، فساجل ثابت عطاردا خطابة وساجل حسان الزبرقان شعراً ، وردا عليهما رداً بليغاً مفحماً ، دفع الأقرع بن حابس لأن يقول :" والله إن هذا

الرجل – يعني الرسول – لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شعرائنا ، وأصواØم أعلى من أصواتنا ، ثم أسلم القوم جميعاً[1]

عصر الخلفاء الراشدين :

عند تتبعنا للنقد في عصر الخلفاء الراشدين وجدنا أن الخليفة "عمر" بن الخطاب رضي الله عنه كان أكثرهم تأثيراً فيه يمكن القول : إنه ناقد مهم في ذلك العصر ، وعن عمر يقول ابن رشيق : "كان عمر رضي الله عنه عالماً بالشعر فليل التعرض لأهله"[2]. وكان على دراية وخبرة عميقة باللغة ومعرفة دقيقة بأسرارها وكان للشعر وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة.[3] وروي عن أبن عباس : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنشدÙ لأشعر شعرائكم .قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال الذي يقول:

ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا *** ولكن حمد الناس يخلد.

قلت : ذلك زهير. قال فذاك شاعر الشعراء . قلت : ولم كان شاعر الشعراء؟ قال لأنه كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعراء، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه.[4]

ونلاحظ أن عمر في حكمه النقدي هذا انتهج التعليل والتبرير وسطر معايير لهذا الحكم: الأول خلو الشعر من التعقيد والغموض ، والثاÙ الابتعاد عن الوحشي والغريب، والثالث الصدق وعدم الكذب .

فقد كان عمر يفضل الشعر الذي يحوي القيم الأخلاقية والقيمة الأدبية فلذلك فهو يفضل من الشعر ما يجمع بين الحذف في الصناعة الشعرية والصدق في القول والوصف، ولذا فأنه كان لا يحب شعر الهجاء والمفاخرات والمناقضات والغزل الإباحي، وفي قصة الحطيئة مع الزبرقان بن بدر الحطيئة، وقال : إنه هجاÙ ، قال : ما قال لك : قال : قال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها *** واقعد فأنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر ما أسمع هجاء ولكنه معاتبة. فقال الزبرقان : أو تبلغ مروءÙ إلا أن آكل وألبس؟ فقال عمر : علي بحسان بن ثابت نجيء به نسأله. فقال : لم يهجه ولكن سلح عليه. وكان هذا القضاء سبباً في حبس الحطيئة.[1]

وذكر ابن رشبق ان الشاعر النجاشي هجا عجلان واسنعدوا عليه عمر لأهم عيروا بجدهم بسبب هذا الهجاء وهم الذين كانوا يفتخرون به لأنه سمي بالعجلان لتعجيله القرى بلأضياف . فقال هم عمر : وما قال فيكم ؟ فأنشدوه: إذا

الله عادى أهل لوم ورقة *** فعادى بني عجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر بن الخطاب : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب فقالوا : إنه قال:

قبيلة لا يغادرون بذمة *** ولا يظلمون الناس حبة خردل .

فقال رضي الله عنه : لبنني من هؤلاء . أو قال ليت آل الخطاب كذلك ، قالوا : فإنه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية *** إذا صدر الوراد عن كل منهل .

فقال عمر :كفى ضباعاً من تأكل الكلاب لحمه ، فقالوا فإنه قال :

وما سمي العجلان إلا لقولهم *** خذ القعب واحلب أبها العبد وأعجل.

فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم . فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال : ما أسمع ذلك . فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله فقال : ما هجاهم ولكن سلح عليهم ، فقال حسان ما قال سجن النجاشي ولكنه أراد أن يدرأ الحد بالشبهات ولذلك سلك مسلك الأناة والصبر .

والواقع أن عمر ظل في إسلامه كما كان في جاهليته حفياً بالشعر شديد الشغف به ، بل ظل كذلك بعد اضطلاعه بأعباء الخلافة ، واشتغاله بمهامه التي لا ندع له من وقته فراغاً لغيره ، فكان ينمثل بالشعر ويرويه ، ويستنشده من أصحابه وحفاظه ، ويستقبل الوفود ويخوض معهم في الحديث عن شعرهم وشعرائهم.[2]